الخطاب السردي والسياق المرجعي في قصص الكرامات بالمغرب الإسلامي

د. مالك مغشيش

جامعة عباس لغرور– خنشلة

ملخص البحث

زخر الأدب المغربي القديم بالنتاجات الحكائية السردية وأشهرها حكايات الكرامات، ويعد البحث فيها من أخصب الأبحاث في الدراسات الحضارية والروحية والفكرية الثقافية التي تركّز على المخيلة الجماعية للمجتمعات، والتي تعد نمطا من التفكير المعرفي المحدد للهوية التاريخية المعرفية المتعلقة بالمرحلة الزمنية التي مرت بها المنطقة.

وسنحاول من خلال مقالنا تقديم نصوص حكائية مغربية مبثوثة في مظان الكتب مختلفة التخصصات، ونعمل على تتبع البنيات الأساسية والسياقات النصية التي تحدد معالم هذا النوع السردي من خلال تطبيقنا لآليات التحليل السردي،والكشف عن أهم التقنيات السردية التي تحويها الحكايات المغربية، والبحث في السياقات المرجعية لها وعلاقتها بالدول والحكام والأفراد ونتقصى أخبار أسلافنا الصالحين والأولياء ممن عرف لهم وجود في المغرب بين القرنين الرابع والخامس هجريين.

The summary:

Moroccan literature is known by its narrative productivity, especially the tales of Karamat. The research in this kind of literature is queit fertile among cultural, spiritual and intellectual studies. This literature also presents a focus on the collective imagination of societies. Then, it is consideraded as a pattern of cognitive thinking which specified historical identity of a region for a period of time.

We will try through our article to provide texts from Moroccan patrimony corpora. The objective is to determine the main features of the Miracle Stories. In addition, we will focus on analyzing the technics used in this narrative type. So, to reach our goal we will discuss both its interior structures and textual contexts. Finally, we will explore cultural references which have a relationship with states, rulers ans individuals. We will underline some contents like fact-finding and good news, without forgetting guardians known in Morocco between the fourth and fifth centuries.

مقدمة:

تهدف هذه المقالة إلى البحث عن قصص الكرامات المغربية القديمة، في القرنيين الرابع والخامس الهجريين، من خلال مجموعة من المصادر المغربية المختلفة، وتحديد تقنيات السرد فيها،ولعل الباعث على الخوض في هذا المجال، يكمن في ما مدى وجود هذا الشكل السردي في الأدب المغربي القديم، وما هي أبرز التقنيات السردية التي تتميز بها الحكايات المغربية،وما هي حدود العلاقة بين هذه الحكايات والواقع المغربي، وهل تحمل هذه الحكايات معارف تهتم بدراسة الأفعال والسلوكات والظواهر التي تحدد الهوية التاريخية المتعلقة بالمرحلة الزمنية للإنسان المغربي، وما هي الطبقة المنتجة لهذه النصوص(المرسل) والطبقة المتلقية (المرسل إليه)، وما هي بنية الرسالة السردية بين الطرفين ومضامينها...هذه الأسئلة وغيرها نحاول الإجابة عنها من خلال تطبيق آليات التحليل السردي على النصوص السردية التي استطعنا الوصول إليها، وهذا من خلال هيكل تنظيمي يتمثل في:

-مقدمة وحددنا فيها موضوع الدراسة وأهدافها زمكانيا ...

- قصص الكرامات المغربية (البدايات والتحولات)

-الحكايات المغربية (التصنيف والمضمون)

- نماذج من حكايات الكرامات المغربية

-تقنيات السرد في قصص الكرامات (الشخصيات،الزمان، المكان..)

-السياق المرجعي لنصوص الكرامات(التاريخي، الأيديولوجي،السوسيولوجي)

-خاتمة وأوجزنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها، من خلال الإجابة عن الإشكالية المطروحة، وتقديم بعض المقترحات التي قد تفتح آفاقا جديدة في ميدان النصوص السردية المغربية القديمة، التي مازال البحث فيها خصبا.

أولا_ قصص الكرامات المغربية (البدايات– التحولات):

للكرامة مفاهيم عديدة تلتقي كلها في أنها "حكاية ذات تعبير رمزي للفعل الخارق والسلوك المميز الذي يعتقد بأن الله خص به صفوة من خلقه هم الأولياء، وهو الخلق الكريم وحسن الفعل وجيده. والكريم من صفات الله وأسمائه وهو الكثير الخير الجواد[1]ومن ذلك تأتي قدرته على اختراق العادة عند الناس والتفوّق على قدراتهم المحدودة وطاقتهم الفكرية مثل قطع مسافة زمنية طويلة في لمح البصر بدون مركب، أو الطيران في الجو، أو التحكم في حركة وسكون طير أو حيوان ...إلى غير ذلك من الأفعال الخارقة. وترتبط الكرامة بالمعجزة باعتبارهما فعل خارق للعادة، لكن المعجزة تكون للأنبياء والكرامة تكون للأولياء.

لقد ارتبطت البدايات الأولى لقصص الكرامات بالمغرب الإسلامي بالفاتحين للمنطقة، والذين تروى عنهم حكايات لكرامات عجيبة وغريبة مرتبطة ببعض الصحابة والتابعين، الذين وفدوا مع الفاتحين في القرن الهجري الأول، ومنهم قائد الفتح الإسلامي للمغرب "عقبة بن نافع الفهري"، الذي تروى عنه كتب التراجم في ما حدث حين عزم على بناء مدينة القيروان، ووقع اختياره على منطقة توفرت فيها شروط المنعة ضد الغزاة، مع تميزها بكثرة أحراشها وحيواناتها المفترسة . فلما شرع في بناء المدينة، وأمر جنده بذلك، قالوا له: "إنك أمرتنا بالبناء في شعاب وغياض لا ترام، ونحن نخاف من السباع والحيّات وغير ذلك من دواب الأرض"، وكان في عسكره خمسة عشر رجلاً من أصحاب رسول الله فجمعهم وقال: "إني داعٍ فأمّنوا"، وبالفعل دعا الله طويلاً والصحابة والناس يؤمّنون، ثم قال عقبة مخاطبًا سكان الوادي: "أيتها الحيّات والسباع، نحن أصحاب رسول الله، فارتحلوا عنا فإنا نازلون، ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه."[2]

فحدثت كرامة عظيمة حين خرجت السباع من الأحراش تحمل أشبالها والذئاب تحمل جراءها، والحيّات تحمل أولادها، في مشهد عظيم، فنادى عقبة في الناس: "كفوا عنهم حتى يرتحلوا عنا"[3]،وهذا تكريم من الله لأحبابه وأولياءه بأنواع متعددة من خوارق العادات تكريما لهم على إيمانهم وإخلاصهم، وتأييدا لهم في جهادهم ونصرتهم لدين الله،

وإظهارا لقدرة الله تعالى ليزداد الذين آمنوا إيمانا، وبيانا للناس أن القوانين الطبيعية والنواميس الكونية، إنما هي من صنع الله وتقديره، وأن الأسباب لا تؤثر بذاتها، بل الله تعالى يخلق النتائج عند الأسباب لا بها.

كما ارتبط قَصص الكرامات في القرون الأربعة الأولى، بالبطل العجائبي المرتبط بالزهاد والمتعبدين والنساك والفقهاء والعلماء، والصلحاء، وهذا يعود إلى ما اتصف به أهل المغرب من تعظيم وتبجيل الفقيه والعالم.... "فالبطل العجائبي عادة ما يمثل الفرد الأكثر تميزا بينهم ويكون له دور بارز في حياتهم والتخطيط لمستقبلهم لما يتمتع به من قوى جاهزة وخارقة، فهو وليّ القوم والنموذج الأمثل في مجتمعهم، يقصدونه لتلبية حاجاتهم وتحقيق أمنياتهم وانتصاراتهم، ولذلك يحتل مكانة لائقة بينهم وينال عرفانهم وتقديرهم وولائهم ويلبسونه ثوب الوقار والقداسة، ويؤمنون باستجابة دعائه، و تستمر علاقتهم به حتى بعد وفاته بل ربّما تشتدّ العلاقة قربا وقداسة وتكثر عنه القصص والمآثر العجيبة التي لا يمكن أن تكون لغيره من عامة الناس، لارتباطها بكل ما يثير الدهشة والحيرة[4]" .

وانتشرت حكايات الكرامات المغربية مع اقتضاء الملابسات السياسية التي صاحبت نشوء دولة بني عبيد مع بداية القرن الرابع الهجري، " فاستخدموا القوة حينا والدعاية الشعبية أحيانا على يد دعاتهم بصورة واسعة، ومن ذلك اختراع أعياد كعاشوراء ... وبث المداحين والقوالين فأقاموا المجالس والحلقات يفيضون فيها بالحديث والقصص بأسلوب شيق حول مكانة أبناء فاطمة بنت الرسول(ص)، وحول الإمام علي" رضي الله عنه، وبما أضفوه من قداسة على بطولاته .ومازالت بعض هذه الحكايات والقصص متداولة في الوسط الشعبي المغربي" [5].وينسبون إلى رابع أمراء بني عبيد "المعزّ" وسالفيه من أمراء "بني عبيد" صفات تفوق طينة البشر، هي أدق من أن تدركها الأذهان وتفهمها العقول، كما جاء في الكثير من خطبهم ورسائلهم، ومسايراتهم ومجالسهم، وهي صفات مستمدة من وحي الله وهدايته، بل هي الصفات التي ينسبها كل البشر إلى المولى سبحانه وتعالى،

لكن الشيعة لا يتحرجون من أن ينسبوها إلى غير الله، ذلك أنهم مثل المعتزلة، ينفون أن تكون لله الواحد المتوحّد صفات خارجة عن ذاته , وعلى هذا الأساس وصفوا بأنهم ملحدون ومعطّلون ولما كانوا من المعطلة فلا مانع ولا حرج من أن ينسبوا إلى أئمتهم صفات الواحد والقهار، ولا كفر إذن عندهم .وكما جاء في "ضحى الإسلام": " ...عن علي الرضا الثامن عند الاثني عشرية ...فمن ذا يبلغ معرفة الإمام ؟ ...هيهات هيهات خلّت عقول وتاهت الحلوم، وحارت الألباب... " [6].

كما نجد – المعزّ– يشاطر كتّابه هذا الاعتقاد، حسبما يظهر من خلال هذه المناجاة التي تنسب إليه حيث يقول :« ...الهي، أنا اسمك، وموجود اسمك وأنا البشيرُ إليك، والدّال على من دلّ عليك... »[7].فالأمير الشيعي هو الصنيعة المخلوقة والحجّة الدّالة في آن واحد فصار دليلا بما أودعه الله فيه من علمٍ وحدسٍ ثاقب يرفع عن بصيرته حُجُبَ الغيبيات،وكشف الحجب ميزة ميّز بها الله أئمتهم دون سواهم –وهذا اعتقاد مريديهم وإتباعهم العامة–،وهي خاصّة يتوارثونها كابراً عن كابر. فهذا أحد أئمتهم نظر في أحد أبنائه ساعة فعرف فيه فورا إمارات الإمامة، ولم يعرف فيه ذلك عن فراسة فقط بالظن والحدس، وإنما بعلم رباني متنقل من إمام إلى إمام، « وهكذا مثلا علم "المنصور" أنّ معزّا سيكون ملكا فريدا وهو لا يزال في المهد صبيّا »[8].كما اعتمد داعيهم الأول المؤسس لدولتهم "أبو عبد الله الشيعي" على الكرامات ومعرفة الأخبار والعلوم، من أجل جذب البربر، وهذا ما نجح فيه . كما يذكر "ابن خلدون" في رؤيتهم لعلمهم :«أن ذلك العلم وقع لجعفر ونظائره من رجالاتهم عن طريق الكرامة والكشف الذي يقع لمثلهم من الأولياء ...وقد صحّ عن جعفر الصادق أنّه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم، فتصحّ كما يقول» [9].

ولقد حدث جدل كبير في المغرب خاصة في القيروان، بين الفقهاء والعلماء في قضية الكرامات وامتد تأثيرها إلى الأندلس[10] .فقد كان" أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الصقلي"(ت 386هـ) أحد أبرز المتصوفة ويعتقد بكرامات الأولياء، وعارضه في ذلك" ابن أبي زيد القيرواني"(ت 386هـ)"، ورأى الأخير أن الكثير ممن يدّعون الولاية

والكثير من هذه الخوارق، إنما يأكلون أموال الناس بالباطل. وألف كتباً لتوضيح رأيه فيها ومنها، هو" الاستظهار في الرد على البكرية" و"كشف التلبيس في الرد على البكرية" [11] .فأثار ذلك نقاشاً حاداً بين الطرفين وأنصار كل منهما[12]ووصل صدى ذلك النقاش إلى الأندلس بحيث أُثير مجددا فيه قرطبة، وانقسم فقهائها المهتمون بالموضوع إلى قسمين : قسم ناصر رأي "ابن أبي زيد القيرواني" وقسم ناصر رأي "عبد الرحمن بن محمد الصقلي"، ثم توسعت هذه المسألة في قرطبة وأخذت أبعادا مختلفة أدت إلى إثارة مشاكل كبيرة بينهم وبين السلطة، مما دفع " المنصور بن أبي عامر(ت 392 هـ) " إلى إرسال مجموعة من فقهاء الطرفين إلى العدوة، أي قام بنفيهم عن قرطبة[13] .

كما شارك الفقيه" أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المسيلي " (ت 402 هـ) فقهاء القيروان وعلى رأسهم " ابن أبي زيد القيرواني" في ردهم على الطائفة البكرية التي مثلها "عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله البكري" وادعى رؤية الله في اليقظة وقام بتأليف كتاب بعنوان "الرد على البكرية"، اقتفى فيه أثر "ابن أبي زيد القيرواني" في الجدل حول إثبات كرامات الأولياء، فكان هذا المصنف أول كتاب في الأدب الصوفي بالمغرب الأوسط، لم ينكر فيه الداودي كرامات الأولياء إلا أنه تبنى موقف" ابن أبى زيد القيرواني" في التشدد على التصوف المائل إلى الشعوذة.

والحكايات التي اخترناها مستخرجة من سير وتراجم لأناس غير عاديين، من أولياء ونسّاك وعباد وعلماء، وحتى لأمراء دول تعاقبت على المنطقة، من خلال كتب الطبقات، والسير والتراجم ...وغيرها. وما يسهل مقاربة هذه الحكايات بصفة عامة هو اتسامها بالقصر في أغلبها والبساطة،كما أنها تمثل شكلا من أشكال التواصل في مدارج تعرف الإنسان على نفسه وعلى الكون المحيط به، وترتبط بمواقف الإنسان المغربي العقائدية والمعرفية والنفسية والاجتماعية الماضية التي تسيطر عليه، وهذا ما يعني حضور الماضي بترسباته، ومن ثم فإن هيمنة المخيلة الاستذكارية على سلوك الإنسان المغربي أنتجت خطابا سرديا عجائبيا، لاقى رواجا من طرف المتلقي عبر العصور.

ثانيا– الحكايات المغربية (التصنيف والمضمون):

إن الفضاء المكاني والزماني للمغرب ضارب في التاريخ، متعدد الرواسب الفكرية والدينية، والإنسان المغربي بمعارفه المتراكمة عبر العصور، و بتلاقح الحضارات المتعاقبة عليه ولد لديه زخم فكري وأدبي وروحي،و ولدت لديه أنساق ثقافية جمعت بين المعقول واللامعقول، ولا يمكن الكشف عن كنهها إلا من خلال استقراء التاريخ والسياقات الحضارية المولدة لمثل هذه النصوص الحكائية. وهي حكايات مستخرجة من سير وتراجم لأناس غير عاديين من الأولياء والنساك والعباد والزهاد والصوفية والعلماء والدعاة والأمراء في المغرب،و هذه الحكايات مختصرة جدا،ولا تشتمل إلا على بعض أسطر أو صفحة أو أكثر بقليل،وهي لا تخرج عن نطاق الكرامة والعجائبية والغرائبية والحكمة.

كما تتعالق مع المنامات والرؤى والدعوات والنبوءات، و البطولات، و الخوارق ... ومع هذه التسميات المختلفة فإن كل حكاية من هذه الحكايات تماثل وتلائم نظيرتها في أساسها التقني، كما يمكن أن تظهر بعض القواعد التي تتكئ على المشابهة أو المخالفة بين هذه الحكايات.

وقد حاولنا تقسيم هذه الحكايات في التراث السردي المغربي بحسب مضمونها الذي لا ينفصل عن منشئ النص ومستقبله وبنية الخطاب السردي وأحداثها وأبطالها وبنيتها الزمكانية بالإضافة إلى ما يعتقده ويرمي إليه من وظائف وأهداف، وهذه الحقائق المتحكمة في اختيارات المبدع المغربي لأنساقه وأساليبه أوصلتنا لأنواع الحكايات وهي:

حكايات كرامات الأولياء والزهاد والنساك والأمراء في اشفاء المرضى والسير على الماء ونزع الكربات، والإمداد بالغيث عند الجدب والاتصاف بالحكمة وتأويل الأحداث، لتجنب الكوارث والتنبؤ بما سيقع في المستقبل والدعوة المستجابة بالنفع أو الضرر ...الخ

الحكايات العجيبة في التراث النثري التاريخي المغربي، وهذه يغلب عليها الجانب الملحمي، وتكون من صنع أبطال وأحداث غير عاديين بحيث تخلط بين الحقيقي والخيالي وبين الواقعي والغيبي، وبمعنى آخر بين التاريخي والأسطوري ...الخ.

ومصدر هذه الحكايات كتب الطبقات والتراجم والسير، من مثل: "رياض النفوس" للمالكي، والتادلي في "التشوف إلى رجال التصوف""وطبقات علماء افريقية" لأبي العرب،ومعالم الإيمان للدباغ، وكتب "القاضي النعمان" من مثل افتتاح الدعوة، و المجالس والمسايرات، وأبو زكرياء في كتابه سير الأئمة وأخبارهم...وغيرها.

ويمكن تصنيفها من حيث أبطالها إلى حكايات الإنس من النساك والزهاد والمتصوفة والملوك والحكماء والخواص والعوام والتقات والعلماء والملائكة والجن والحيوانات .

ثالثا–نماذج من حكايات الكرامات المغربية :

إن الموروث المغربي يزخر بالعديد من حكايات الكرامات المبثوثة بين دفات الكتب المتنوعة، منها : المشي على الماء والطيران في الهواء وطي المسافات، وإبراء العلل والتنبؤ بالغيب وإفشاء المكنون واستدرار الغيب، وتحويل التراب إلى ذهب والاختفاء عن الأنظار وإرجاع المسروق وتحويل المر إلى حلو...ويمكننا الوقوف عند نماذج من هذه الحكايات المبثوثة في كتابين: "رياض النفوس" للمالكي، و "المجالس والمسايرات" "للقاضي النعمان"، وهي تنضوي تحت حكايات علماء ونسّاك وفقهاء أهل السنّة، وحكايات مرتبطة بالمتشيعين من أمراء وأتباع لهم، والتزمنا في نقلها حرفيا .

–حكاية في بواهر المعز:

قال النعمان اعتزم "المعز لدين الله"[14] على الخروج عن الحضرة لمطالعة بعض الكور واحتفار أنهار أن يجريها إلى الحضرة، فبعد أن أعد لذلك وقرب الوقت الذي اعتزم على الخروج فيه جاءت الأخبار بأن الجراد قد أطل على[15] البلد،وأشرف عليه وبوخ في كل موضع نزل فيه .فكان ذلك كسرا من عزمه على الخروج، وقال : متى خرجنا فحللنا ببلد وأعقبهم بعد ذلك حلول هذا الجراد بهم، خشينا أن يتطير بنا منهم من لا خير فيه وأن يجعل من ذلك مقالا.

فأقام على ذلك أياما حتى حل الجراد وانتشر في البلدان، وبوخ فيها ثم خرج، وقد قحط المطر وأجدبت الأرض وتغير الزرع وذبل وأشفى على الهلكة .فكلما نزل منزلا نزل

الغيث به بنزوله، وجاء منه ما يجاوز الرواء، وأحيى الزرع لا يجاوز ذلك مابين يديه، فإذا ارتحل من ذلك المنزل ارتفع المطر وصار في صحو حتى ينزل بالمنزل الذي يليه وهو في القحط والجب على مثل ما كان عليه المنزل قبله .فساعة حلوله ينشأ السحاب ويأتي بالغيث الوابل مادام مقيما حتى يرتحل.

فلم يزل كذلك مدة مسيره وحلوله حتى انصرف، فنمت الزروع والثمار وكملت، ودفعت الآفة عنها وآمنت، ورأى الناس من بركة أثره ويُمن سفره ما بهرهم، وعظم أمره عندهم، وأعقبه الله بذلك مما توقعه من سوء ظنهم به وتطيرهم بحلو له لما اطلع عليه من جميل نيته فيهم وحسن اعتقاده لهم [16].

- **حكاية شفاء المرض المستعصي:**

وهي" لمحمد بن أبي حميد الطرابلسي" (ت 339هـ): الشيخ العابد الفاضل، من مناقبه وفضله وبركته،أنه ذات يوم إذ أتته امرأة بصبي قد احدودب ظهره [17]، فلا يقدر أن يمشي، ولا أن يرفع رأسه، فأجلسته بين يدي الشيخ، فقال له الشيخ : يا بني ارفع راسك ؟ فما قدر، ثم قال له امش ؟ فما قدر، فالتفت إليّ وقال: يا أبا عبد الله أما ترى هذا الصبي ما استطاع المشي ولا قدر أن يرفع رأسه؟فقلت له : نعم يا سيدي، فأمر بيده على ظهره ثم كتب بأصبعه ثلاثة أسطر لم أقف على ما فيها، ثم قال للصبي :ارفع رأسك، فرفع رأسه، ثم قال له :امش، فمشى.

– حكاية الخضر أو مؤمن الجن:

وهي" ليونس بن أبي النجم المؤدب الأطرابلسي" (ت 305هـ):كان شيخا مشهورا بإجابة الدعاء قال عنه ربيع القطان : حكى لنا "الشيخ الطرابلسي عبد الله بن محمد العازب"، قال أخبرني يونس المؤدب هذا –وكان من المجابين للدعاء– قال كنت أنا والشعاب في غرفة الشعاب بمسجده الذي بطرابلس يوم جمعة إلى أن دخل عليه رجل مبيض يسطع مسكا، فقام الشعاب إليه، ولهى عني حتى كأني ليس معه، وتحدثا طويلا ثم قال للشعاب : اقترب الهجير، فقال له الشعاب، ولا تصلي معنا –يريد الجمعة – فقال له : لا بقرطبة أصلي، ثم خرج من عند الشعاب، فقال له : لا بقرطبة أصلي، ثم خرج

من عند الشعاب، فقال لي الشعاب : يا يونس قم، فقمت مع الشعاب إلى السترة التي في جبلي (قبلي) مسجده، فقال لي : انظر إليه يخوض البحار بقدميه، ويثور الغبار بين يديه .قال يونس : فنظرت إليه كالنقع، قال عبد الله : يمكن أن يكون الخضر عليه السلام أو من مؤمني الجن. (18).

- **حكاية المنامات وما بعد الموت:**

وهي لأبي يونس المتعبد، وقيل إن أبا يونس مال إلى القراءة في كتب الرقة، قال : فرأى في منامه كأن قائلا يقول له: اشتغلت بكلام عبدي عن كلامي ؟قال : فانتبه مرعوبا فآلى على نفسه أن لا يتكلم بغير القرآن حتى يلقى الله عز وجل، فعكف على قراءة القرآن بالليل والنهار، وكان إذا أن يتكلم أشار بإشارات تفهم، أو يكتب لمن يقرأ، بما يريد.

قال لي أبي : وذكر لي بعض الصيادين الصالحين منهم أنهم ربما جازوا بالليل على قبر أبي يونس فيسمعون في قبره قراءة القرآن(19)

- **حكاية السير على الماء :**

وهي من حكايات "أبي العباس أحمد المعروف بابن العريف": وحكى أبو الحسن علي بن خلف بن غالب أن أحد أصحاب ابن العريف كان عقد على نفسه أن لا يتكلم وقت وضوئه إلا بذكر الله تعالى وألا يرد السلام على أحد حتى يفرغ من وضوءه. فبينما هو يوما يتوضأ على ساحل البحر بالمرية إذ مر به رجل يمشي على الماء . فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فكلمه فلم يجبه .فلما فرغ قال : متى يضع المريد أول قدم في الإرادة ؟ فقلت له :متى يضع المريد أول قدم في الإرادة ؟ فقال لي :إذا كانت فيه أربع : إذا مشى على هذه بلا وساطة، وأشار إلى البحر، وكان قريبا منه، وصارت له هذه قدما واحدا، وأشار إلى إلى الأرض، وأكل من الكون، واستجيب له الدعاء .فقال ابن العريف : فلما سمعت ذلك،صحت وبكيت وقلت : أيستنا من الإرادة يا أبا القاسم وقطعنا عنها إذا كان أول قدم في الإرادة الـذي ذكرته . (20)

- **حكاية المشي على البحر والشرب منه:**

وهو محمود أخو ربيع القطان، ظهرت له إجابات وكرامات، رواها مكي بن يوسف الأبزاري: رابطنا ومشينا الدور، ومحمود معنا، ونحن على الساحل، فأصابني عطش، فشكوت ذلك وقلت : لا أستطيع أن أصبر، فقال لي: تعالى، فدخل البحر فوقف فيه ثم غرف بيديه جميعا فشرب من ماء البحر، ثم غرف ثانية، وقال لي : اشرب فشربت من يديه حتى ارتويت وزال عطشي، فغرفت أنا بيدي لأشرب فوجدت ماء البحر (ما ألفته)، فألقيته من فمي .وعلمت فضله، ثم مشينا [21].

- **حكاية في كشف كرامات ولي:**

قال عبد الله بن نصر الصواف : اغتممت يوما، فأتيت إلى أبي عبد الملك مروان لتسلى برؤيته، فجرت عنده حكايات، فقلت له أصلحك الله – أحب أن تخبرني بما رايته من براهين الأولياء، فقال : نعم، كنت ليلة نازلا عند "عمرون الحامي"، فإني لجالس معه على سطح القصر، وقد أشرق القمر إذ جرى بيني وبينه كلام في مثل هذا المعنى، فقلت له ك أصلحك (الله) إنه (قد) ذكر لي عنك أهل الحصن أنهم ربما غلّقوا باب الحصن، وأنت بالجبل، فيجدونك قبل فتح الباب بالحصن، وربما غلّقوه وأنت فيه فيجدونك بالغداة في الجبل، (فأحب)، أن توقفني من ذلك على ما ازداد به [22].يقينا، فقال لي : يا مروان إذا أريتك شيئا أتوقن أن الله عز وجل يعطي أولياءه ما هو أكثر من ذلك ؟ فلت له: نعم .قال : فنظر فإذا في أسفل القصر ثوران : أحمر قائم، وأبلق رابض .فقال : أيّ هذين الثورين تريد أن أحرك لك ؟ قلت الأبلق، قال فمد رجله حتى بلغ بها الثور .فأقامه من مربضه، ثم قبضها إليه، قال مروان: فكأنها –والله يا ابن آخي– عمامة أو كرزية سوداء أسالها إنسان ثم قبضها [23].

- **حكايات المنامات:**

ومن ذلك أن" محمود المتعبد" رأى النبي في المنام وهو يقول له : اجمع الفول الأخضر من جنانك واحمله إلى الغدامسي فإنه اشتهاه .قال : فاستيقظت فخرجت إلى الجنان،

فجمعت الفول الأخضر ومضيت به إلى الشيخ الغدامسي، فقال له: من أخبرك أني اشتهيت الفول ؟ فقال له: النبي صل الله عليه وسلم أخبرني في منامي (24).

وهذه نماذج لعدد كبير من الحكايات التي تزخر بها كتب مغربية متعددة المواضيع والتخصصات.

خامسا_ تقنيات السرد في قصص الكرامات :

تختلف الحكاية المغربية في بنياتها العامة عن بنيات أخرى فهي تشتمل على السند والمتن، وهذا يعود إلى منهجية الثقافة العربية المروية التي تتحرى الإيهام بالوثوقية حتى في النصوص الأكثر عجائبية، بحيث تقدّم من الراوي على أنها قد وقعت تحقيقا من سلسلة الشهود الرواة .هذا الراوي قد يكون فردا أو جماعة، والراوي الغالب حضوره هو الفقيه العالم رجل الدين المصاحب لصاحب الحكاية أو المروي له.

والراوي في الكثير من الحكايات هو الذي يجمع بين تاريخية الأحداث وواقعيتها من جهة وغرابتها وعجائبيتها من جهة ثانية، ووسيلته في ذلك ذات وجهين، فإما أن يقّدم الحكاية التي يريد عرض أحداثها بدقة ويستبعد كل تدخل شخصي، وإما أن يقدّمها بوصفه معبرا عنها وحاضرا في أحداثها[25].

– الشخصيات:

تحضر الشخصيات في سرد الحكايات في صيغ الضمائر وبخاصة في هذا النوع من النصوص التي يبدو كل شيء فيها فاقد لطبيعته، وملامح الشخصية تطفو من خلال أصوات لسانية ظاهرة أو مقنَّعة تؤدي وظيفة دلالية .من هنا يمكن تقسيم الحكايات من حيث هذه الوظائف المشكلة لمفاصلها إلى نوعين:

أولهما :ما كانت وظائفها ظاهرة وذات طرفين، مثل حكايات معالجة المرضى بالرقية،والعلاج بالتداوي، واستحضار الأشياء المسروقة، واستحضار الطعام من جهة خفية، ورد الأذى بالعصا، وإطعام من القليل للكثير، وتقويم السلوك، والمنافسة العلمية ...

وثانيهما: ما كانت وظائفها غير معلنة بين طرفين، وتتم في حيز خفي ولا تكتشف إلا براوي يحضر صدفة، ومن هذه الحكايات،السير في الفضاء والماء وعلى قوس قزح، وقهر الزمن...وغيرها.

ومن الشخصيات التي تؤدي هذه الوظائف في الحكايات المغربية : الفقيه العالم، والأمير الشيعي،هي الشخصيات الأكثر استحواذا على مقدرات الحكي في الحكاية المغربية، ويبدأ رسم ملامح الشخصية منذ اللحظات السابقة لميلاده، وما يحدث له في ميلاده من التسمية والرضاعة ثم المراحل اللاحقة في تنشئته وتعليمه وإلى جانبها صفاته الخِلقية الخُلقية... فإذا علمنا،مثلا، أن "القاضي النعمان" الراوي لحكايات أمراء الدولة العبيدية، كان من كبار دعاة المذهب الإسماعيلي، جزمنا أنه كان ينظر إلى أمرائه بعين القداسة، وقد كان الشيعة عموما يغالون في اعتبار منزلة فقهائهم وحكامهم وأولي أمرهم، يرفعوهم إلى منزلة الرسل، بل أحسن، وفي هذا يقول شوقي ضيف: "إن الفاطميين كانوا يحيطون حكمهم بهالة دينية ونظرية عقيدية معقدة تقوم على أن للإمام الفاطمي نسبتين: نسبة إلى عالم الطبيعة كباقي البشر، ونسبة إلى عالم القدس، وأن الأئمة يتوالون في أدوار، كل دور يتألف من سبعة أئمة، ولقبوا الإمام السابع في كل دور بلقب الناطق، وعدوه عقلا فعالا، عنه تفيض النفس الكلية التي يمثلها الأئمة الستة التالون، وقد استغلوا نظرية الفيض الأفلاطوني، إذ زعموا أن قدرة الله انتقلت إلى الإمام الناطق وعنه تصدر جميع المخلوقات، وقالوا إن الله فوق الأسماء والصفات، أما صفاته المبثوثة في الذكر الحكيم فأسبغوها على الإمام الناطق وقد يسبغونها على كل إمام، ومن هنا نشأت في العقد الثاني من القرن الخامس الهجري طائفة آمنت بألوهية الحاكم الخليفة الفاطمي المعروف، وهو إيمان مرده إلى العقيدة الفاطمية الإسماعيلية وما كانت تصور في الإمام من أنه نفس كلية أو عقل كلي، يتحد فيه الله بالإنسان، حتى ليصبح الإمام على مثاله وله كل ألقابه وأسمائه وصفاته، وكأنه حل فيه[26].

ولا يستبعد أن تكون صلة دعاة العبيدين في القرن الرابع بالمتكلمين والفلاسفة واطلاعهم على آرائهم، وحديثهم عن فناء الجسد وخلو الروح إلا دليل على تأثرهم

ونقلهم لآرائهم، ولكن على الرغم من قول الشيعة بتشابه أجساد الأئمة مع أجساد الرعية في التحلل والزوال بعد الموت، فإنها تختلف جوهريا في الحياة، وهذا ما يسمونه "بالدور"، "فطبيعة الإمام ليست بشرية خالصة وإنما هي طبيعة متمايزة وسامية بالرغم من أنه يشارك أجساد الناس الآخرين فيما يقع عليه من أحداث وعوارض، فإنه يتميز عن الأجساد العادية في كونه يعكس عنه نظرات الأعين فيرتد إليها نظرها، مثل المرآة المصقولة التي تعكس النظرات الموجهة إليها"(27)

إن القاضي النعمان راويا لأحداث الحكاية يضفي على بطلها" المعز" صفة التقديس من خلال تمييز أفعاله التي تقارب في حِكمِها البليغة أفعال الأنبياء والأولياء الصالحين في الأرض، وأن سيرته عطرة محمودة لا يشوبها ظلم، والرعية لا تزال تلهج بذكرها وحمد أيامه، ولا يفتأ الراوي يقنعنا بتنزيه أفعال بطله عن أفعال البشر فكل أفعله خير وصلاح ودعوة إلى الفلاح فحاله حال الأنبياء والمرسلين .

كما يصبغ على وليّ نعمته هالة من التعظيم والتشريف، لكونه من أهل بيت النبوة ؛ ففيهم أنزل الوحي، وهم أعلم الناس بالحلال والحرام، وهم في ذلك خير البرية يشار إليهم بالبنان، ثم لا يلبث الرواي أن يورد بعضا من اعتقاد الشيعة في أئمتهم، ويقول أن أيديهم لو مسها الصخر لانبجس منه الماء، وأن الواحد منهم إذا حل بمنطقة أصابها الوباء أو الجراد إلا وأمطرت... وهذا لا يكون إلا من صفات وقدرات ومعجزات الأنبياء.

أما عن شخصية الفقيه العالم فإن سبب تقديسه، يعود إلى مغالاة أهل السنّة في رفع العلم والعلماء وإبراز مناقبهم وإيمانهم باختلافهم عن باقي الخلق، ولعل سبب ذلك يعود إلى الخصومة المذهبية الشديدة بين أهل السنة وأهل التشيّع، في اللجوء إلى ما أمكن توظيفه لدحض حجة الطرف الآخر حتى في مجال الحكايات، فاحترام العلماء عند أهل السنّة كانت في تلك الفترة قيمة بارزة وخاصة بين العلماء أنفسهم، ويشير مفهوم "العلم" إلى العلم الرباني أو "العلم النوراني" على النحو الذي يتكرر في وصف

"العلماء" في الحكاية. وفي الغالب يركز نص الحكاية على ذكر سمات "العالم" وفضائله ومناقبه الدقيقة قبل الانتقال إلى الحدث المعني، وقد تكررت هذه الأوصاف في ذكر أكثر من عالم، ولكنها تفصل في الصفات التي تميز هذا العالم. ولعل بروز الشخصية مرتبط بقوى مساعدة بتنويعاتها المختلفة، من مثل الرسول (صل الله عليه وسلّم) وصحابته عليهم رضوان الله، الجن والعفاريت، إبليس، الملوك والوزراء، الأصدقاء...

- **الزمان والمكان:**

إن دراسة النتاج الحكائي في المغرب الإسلامي، في كلّ مستوياته كمنتج معقد ينقل متناقضات الفترة والمرحلة التي أنتج فيها من صراع مذهبي، وطبقية اجتماعية . ولكون الأدب في أصله ليس مضمونا مذهبيا أو أيديولوجيا، وهو ما وعاه وجسّده راوي الحكاية بحيث جعل كل انتماء مذهبي يبدو مضمرا ومخفيا ولا يظهر إلاّ لمن أمعن النظر في السياقات التي يأتي فيها ذكر شخصية تاريخية مذهبية بعينها-خاصة المعز- أو حديث عن شرف النسب في رسم ملامح الشخصية البطلة أو ما شابهها من سياقات، توجه القارئ إلى ما خبأه الراوي وراء الحكاية، كما هو الحال في حكايات التي رواها النعمان عن المعز،و حكايات أهل السنّة التي يروونها عن علمائهم وعجائبهم مثل "حكاية التحدث إلى حجر" .

وأهم تلك السياقات التتابع الزمن التاريخي الواقعي الذي جرت فيه أحداث الحكاية، إذ نجد أن كلّ الحكايات قد وصفت جانبا من التجارب الحياتية للأبطال في أزمنهم الواقعية المعاشة بأبعادها النفسية والاجتماعية، وهذا هو حال "القاضي النعمان" مثلا في كتاباته وقصصه عموما والتي انتظمت في زمن متتابع، وفي هذا يقول النعمان: «ولقد كنت جمعت عن المهدي بالله، والقائم بأمر الله، والمنصور بالله،وفيهم وفي فضائلهم، من الكتب ما يطول ذكرها.وألفت سيرة المعزّ لدين الله، من الوقت الذي أفضى الله عزّ وجلّ بأمر الإمامة إليه إلى اليوم...»[28].

فكتاب" المجالس والمسايرات" للقاضي النعمان يحكي الكثير من قصص كرامات أمراء الدولة العبيدية في زمن وقوعها وقد كان شاهدا عليها منذ البداية إلى أواخر

العهد وفي هذا يقول:« ... فرأيت إفراد هذه في كتب تشبهها وتليق بها...و أن أذكر في هذا الكتاب ما سمعته من المعزّ من حكمة وفائدة وعلم ومعرفة...على تأدية المعنى دون اللفظ حقيقة بلا زيادة ولا نقص، بعد بسط العذر في التخلف عن تأدية حقيقة لفظه بحسبه»[29].

وقد تروي الحكايات إلى جانب ذلك كموروث فكري يحمله الراوي، ويعبّر عنه بالوجه الذي انعكست به في ذهنه وفي أذهان من يحملون نفس الفكرة،والمتلقي القريب والبعيد، وفي ظل ذلك يقوم بإعادة صياغة تجربته وتجربة مريدي فكرته في شكل عمل أدبي متميز حسب ما يرى.حتّى تشمل كل الأحداث، في امتدادها وتطورها الزمني وبمؤثرات البيئة التي كانت مهدا لهذه الحكايات منذ نشأتها حتى يوم تأليفها، كما هو الحال في قصص أهل السنة التي ضمها كتاب "رياض النفوس"" للمالكي " والتي كان تأليفها بعد استيلاء النورمان على كامل جزيرة صقلية سنة (484هـ)[30].

ومن السياقات التي تغطي أحداث الحكاية الفضاء المكاني الذي يكتسب كثافة رمزية انطلاقا من الأجواء الطقوسية المتنوعة والمحاطة ببطل الحكاية في العموم؛ ومن ذلك أن المكان يجمع عادة بين العالم الحسي والغيبي، والذي يضم فضاءات واقعية، ومثالها: القصر، المسجد، البيت، السوق،الحمام،المدينة، الريف... وفضاءات عجائبية ومثالها :تلك العوالم الافتراضية والغيبية التي ينتقل إليها ومنها :عوالم الجن، الملائكة، الشياطين ...و فضاءات تتأرجح بين العجائبي والواقعي ومنها :البحر، الكهف، المعركة،المقام،السماء...

والفضاء أو الحيّز المكاني يؤدي وظيفة التسليم بإمكانية التحول من حالة إلى حالة أخرى لاستمرار السرد، وفي الغالب فإن لا معقولية الحكاية هي نتيجة طبيعية للتحرر من المكان والزمان. وهذه إحدى الخرجات التي يؤديها هذا النوع من الحكايات التي تتحرى الدقة والموضوعية في نقل الأحداث والأخبار لكن طريقة عرضها وأسلوب تقديمها يذهب عكس ذلك.

سادسا– السياق المرجعي لنصوص الكرامات:

أ–السياق الأيديولوجي:

إن حكايات الكرامات غنية في مكوناتها ووسائل دلالتها وأشكلها وعلاقاتها بسياق البنيات الأخرى الثقافية والنفسية والاجتماعية والفكرية والروحية والسياسية .ويمكن تجميع شذرات هذه النصوص التي لها كبير العلاقة بالبنية التحتية والثقافية والفكرية للمجتمع المغربي المنتج لها، ولخصوصيتها النصية في إقامة علاقة متوازية بين ما هو سردي وما هو سوسيولوجي وأيديولوجي ....

فالأدب هو ممارسة أيديولوجية مشروطة بزمانها، وتتم ضمن حقل اجتماعي معيّن. "فالأدب لا يظهر هكذا من العدم فهو مشروط بسياق سسيوتاريخي محدد على مستوى الكتابة المرتبطة بالتراث الأدبي، الذي يجده الكاتب كمنتج ذهني أمامه ...»[31]، والأدب المغربي في هذه الفترة نشأ على أساس الصراع المذهبي الذي ولد صراعا أيديولوجيا في ظروف تاريخية معينة من تطور للمجتمع وعلاقته بالسلطة السياسية، والطبقات الاجتماعية المختلفة،لذلك يعتبر حكايات الكرامات في مجملها شكلا أيديولوجيا مشكلا للنسق الفكري والوعي الاجتماعي.

كما أن الدول التي سادت ثم بادت عملت على نشر هذه الأيديولوجية بواسطة الأدب عموما والحكي خصوصا لمخاطبتها الأفئدة والأرواح ولبسه بلبوس الدين الذي هو من أقدس خصوصيات المغربي، وهذا للحفاظ على سلطتها المطلقة أوّلا وقبل كلّ شيء. ومن ثم سعت إلى إدماج وإلحاق العناصر الخارجة عنها والمناوئة لها وذلك عن طريق احتوائها، من خلال أسلوب بث الدعايات في قوالب سردية حكائية مجسّدت لكرامات كل طرف، والتي أصبحت تتداول بشكل واسع بين الأفراد والجماعات في حياتهم اليومية.

كما قدموا أنفسهم من خلال هذه الحكايات وغيرها من الفنون النثرية، كنسق علمي كفء قادر على تفسير كلّ الظواهر، وإيجاد أجوبة عنها مهما كانت طبيعتها، حتّى الظواهر الغيبية والتي سبق ذكرها .هذه الأيديولوجية المذهبية التي لعبوا من خلالها

على تحقيق أغراض مادية وسياسية وساعدتهم على بسط سلطانهم على المغربي، وهذا كله من خلال النصوص التي أوردوها وأنتجوها ضمن إطار وظرف تاريخي صعب وعصر مضطرب متشابك في ظل صراع مذهبي سياسي فكري ارتقى إلى العجائبية والغرائبية.

ب– السياق السوسيولوجي:

للحكاية المغربية دور في تنمية المجتمع من خلال توظيفها لمختلف المرجعيات المشكّلة لها في إثراء البنية المخيالية للمجتمع، فتنمية المجتمعات مرتبطة أزليا بتنمية العالم الافتراضي.

فللحكاية وظيفة تربوية، بحيث يعمل الراوي على تتبع حياة البطل وتنشئته التي تتناسب والفكر التربوي السائد في الدولة فتغرس فيه القيم والمعايير المشتركة، والهدف من وراء ذلك هو معالجة الأفعال غير السوية في المجتمع من منظور ذلك الفكر التربوي السائد والتي تتنافى والقيم والثوابت الجماعية. من ذلك تتبع حياة الأمراء العبيديين، وتنشئتهم السوية الباعثة على سلوكاتهم الصائبة التي تتصاعد حتى تصل درجة الأنبياء والصالحين. فالراوي لا يسرد حكاية ابتدعها من العدم، بل هي وليدة تكوينه الفكري والتاريخي والاعتقادي والاجتماعي .

وإلى جانب ذلك يمكن اعتبار الحكايات المغربية ذات وظيفة جمالية ترفيهية لأنها تنتج خطابات اجتماعية خارقة للعادة تمزج فيها بين النظامي وغير النظامي والواقعي المحسوس من جهة، والخيالي الغير محسوس من جهة ثانية، ومن هنا تقوم بدور المتنفس الاجتماعي الذي يقلل من حدة ضغوط الصراع المذهبي والاجتماعي على مستوى الفرد.

ج–السياق التاريخي:

إنّ إنتاج أي نص نثري أدبي، ما هو إلا عملية تحويلية للغة وتشكيلها، أي نقلها من وضعها الخام إلى وضع تنتظم فيه من جديد لتشكل نص أدبي جديد، ينتج من خلاله شكلا جديدا، ونوعا آخر من الدلالات والأبنية، باستعمال تقنيات وتجارب لينتج منسوجا أصيلا، ويقوم بتحويل اللغة إلى عملية إعادة إنتاج للمعنى واللغة، فهو بذلك

يقوم هنا بإعادة الإنتاج في قالب آخر وهو الحكائي، لينطلق من خلالها في آفاق جديدة يقوم من خلالها بتشكيل وتنظيم الأيديولوجية المذهبية في سياق تاريخي عما كانت عليه عند العامة وما تعتقده من حكايات وأساطير تتعلق برموز هذه المذهبية. ووضعها في شكل أنيق جيد هو النص الأدبي، هذا الذي يشكل في ما يمكن تسميته بالمذهبية ذات الأبعاد التاريخية لتنزل إلى العامة وتحتضنها في صورة واقعية.

كما أن هذه الحكايات مكنت من تصوير المذهبية في أبعد صورها، وجعلتنا نكتشف حقائقها الباطنية، وفهم طبيعة وجودها وتنظيمها،وأصولها التي تمتد إلى العهد الأول من صدر الإسلام، ومغزاها السياسي والفكري، كما أن هذه الحكايات قد مكنتنا من كشف أساليب مؤلفيها وإماطة اللثام عن توجهاتهم وآراءهم الفكرية والسياسية، بعد أن وضحوا وبينوا طبيعة هذه الأيديولوجية المذهبية في إطارها التاريخي السياسي الذي كان مغزاها سياسي سلطوي من أجل كسب النفوذ، و الاستيلاء على الحكم باتخاذ المذهبية الوعاء الحامل للفكر السلطوي، واستغلال الدين لأغراض سياسية بتشكيل رؤية تاريخية مبهمة لكنهم أصبغوها بمرجعيات مزيفة ومدلسة تاريخيا.

كما أن الحكايات قد عرضت الوقائع والأحداث التاريخية للفترات الزمنية التي أُنتجت فيها، في قالب فني عجائبي جميل يتسم بالقصر والبساطة في عمومه ليحفظه التاريخ،وليمثل شكلا من أشكال التواصل التاريخي عبر توريثه للأجيال اللاحقة وتضمن لها البقاء والدوام والخلود .

خاتمة:

إن البحث في حكايات الكرامات وسياقاتها السردية والمرجعية يعد إبحارا في غياهب الغريب والعجيب الذي يستهوي النفوس البشرية، لما يتمتع به الحكي من سمة الغواية والتشويق والفضول الذي يحسه الإنسان تجاه الماضي والسلف. وعلى الرغم من أننا نجزم بضياع الكثير منها، وبعضها الآخر مازال حبيس الرفوف. ولأجل ذلك بحثنا وحاولنا أن نزيل الغبار عن بعض النصوص السردية التي استطعنا الوصول إليها، وهي دليل نصاني على وجود السرد في البلاد المغربية في هذه الحقبة الزمنية .و حسبنا فإن

التفاعل مع التراث طريق الأصالة للانطلاق نحو الحداثة، ومؤشر على أن الحاضر لا يمكن أن يقطع صلته بالماضي والتأصيل ما هو إلا إحياء للذاكرة وليس اجتراراً أو إعاقة للتجديد،ومن هنا يمكن أن نوجز أهم النتائج في الآتي:

– حكايات الكرامات المغربية تعد من أهم الإبداعات السردية في الأدب المغربي القديم، لأنها تفعل الخيال، ولارتباطها بالظاهرة السردية التي تميز النشاط المعرفي والأدبي للإنسان ولاختياراتها النسقية والأسلوبية .

–لقد كانت حكايات الكرامات من الأشكال السردية المفضلة عند بعض الجماعات والمذاهب المغربية، التي تميل إلى الرزانة والروّية في نشر ما تعتقده من اعتقادات مذهبية وفكرية واجتماعية(كالسنّة والشيعة) .

–لا تخلو بعض الحكايات المغربية من بعض الصعوبات اللغوية، ويعود ذلك إلى السرد الخيالي الحكائي المغرق في الغيبية واللامعقولية .

– كشفت هذه الحكايات عن الأصل الحكائي السردي في التراث الأدبي المغربي، و أسس التفكير الخيالي وحتى الأسطوري عند الإنسان المغربي، والذي عد من وسائل التواصل اللغوي الذي يتحقق بين النص وقارئه خاصة، و يعد من الأنماط الأكثر تذوقا من قبل الجماعات الحاملة للإرث المذهبي العقدي الخاص بالمنطقة المغربية عموما.

–الرؤية التي استنطقها سرد الراوي، وشخوص الحكاية توحي بتوجه أيديولوجي مذهبي يحمل نظرة نقدية معارضة للسلطة الحاكمة من الفريقين.

–كان للصراع المذهبي كبير الأثر في شيوع هذه الحكايات، وتناقلها بين الجماعات المذهبية، في صورة استلهام الشرعية المذهبية من خلال سردها على العامة.

– كما أن هده النماذج من الحكايات قد عرضت الوقائع والأحداث التاريخية للفترات الزمنية التي أنتجت فيها، في قالب فني عجائبي جميل يتسم بالقصر والبساطة في عمومه ويمثل شكلا من أشكال التواصل التاريخي عبر توريثه حكاية كرامات السلف للأجيال اللاحقة .

-السارد الراوي في الحكايات المغربية الغالب حضوره هو الفقيه العالم.

- التتابع الزمني التاريخي الواقعي الذي جرت فيه أحداث الحكاية المغربية يصف جانبا من التجارب الحياتية للأبطال في أزمنهم الواقعية المعاشة.

-الفضاء المكاني للحكاية المغربية يكتسب كثافة رمزية انطلاقا من الأجواء الطقوسية للحكاية، وهو يجمع عادة بين العالم الحسي والغيبي.

كما يمكننا أن نشير أخيرا إلى أن ميدان السرد المغربي القديم عموما وحكايات الكرامات خصوصا وغيرها، تحتاج لمن يستكشفها بالتنقيب والدراسة فهي مازالت مغمورة في مضان المصادر المتنوعة حسب علمنا ودراستنا هذه .

هوامش:

[1]أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المؤسسة الوطنية للكتاب ط2،1985، ج1 ،ص131-133.

[2]المالكي: رياض النفوس(في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي،دار الغرب الإسلامي، لبنان،ط2، 1994،ج1،ص11.

[3]نفسه،ص12.

[4]شعيب حليفي: هوية العلامات في العتابات وبناء التأويل، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص189.

[5] أبو القاسم محمد كرو:عصر القيروان، دار طلاس للدراسات والنشر والترجمة،دمشق، ط3، 1989، ص31.

6محمد اليعلاوي، الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ،دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط1،1986.ص 255.

[7]أحمد أمين: ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان، ج3، ط10،د ت،ص 212-216.

8محمد اليعلاوي: ابن هانئ المغربي الأندلسي -شاعر الدولة الفاطمية-،دار الغرب الإسلامي، بيروت، د ط،1985 م، ص253.

9ابن خلدون: المقدمة، تحقيق:على عبد الواحد وافي، دار القلم، بيروت، ط 5، 1984م،ص521 .

[10]محمد بن الطيب الباقلاني :البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر، تح: الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية بيروت:، 1958،ص55.

11 القاضي عياض : ترتيب المدارك وتقريب السالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، نشر مكتبة المشكاة، وزارة الأوقاف المغربية المغرب، ج6د ط، د ت. ص219.

[12]عمر بن حمادي : كرامات الأولياء، النقاش الحاد الذي أثارته بالقيروان وقرطبة في أواخر القرن4 هـ،مجلة دراسات أندلسية، العدد4، 1990، ص 40.

[13]القاضي عياض :ترتيب المدارك، ج2،ص495.(ينظر أيضا:نصر سلمان:من أعلام المذهب المالكي، دار ابن حزم، الجزائر،ط1، 2011، ص14.)

14 هو المعز لدين الله الفاطمي(341-365هـ): آخر أمراء الدولة العبيدية الفاطمية بالمغرب خرج سنة 262هـ قاصدا القاهرة التي نسبة إليه وناقلا مقر دولته إلى مصر. (ينظر: القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، تح:محمد اليعلاوي إبراهيم شبوح،الحبيب الفقي المطبعة الرسمية التونسية، د ط، 1978م).

15القاضي النعمان: نفسه، ص469.

[16]القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، ص470.

[17] أحمد الزاوي: الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، دار البيارق،عمان- بيروت، ط1، 1999.، ص 66.(ينظر: المالكي رياض النفوس،ج2،ص388.)

[18] أحمد الزاوي :نفسه، ص 61.(ينظر أيضا: المالكي : رياض النفوس،ج2، ص133-134).

[19]المالكي: رياض النفوس،نفسه، ج2،ص124.

[20]نفسه،ج2،ص124.

[21]المالكي: رياض النفوس، ج2،ص346-347.

[22]نفسه،ج 2،ص380.

[23]نفسه،ج2، ص 381.

[24] نفسه، ج2، ص 443.

25محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، 1990، ص132 .

[26]شوقي ضيف : فصول في الشعر ونقده، دار المعرف، القاهرة، مصر، ط3 ،1988،ص108-109.

[27]عبد الرحمن حجازي : الخطاب السياسي في الشعر الفاطمي (دراسة أسولبية) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005،ص117.

[28]القاضي النعمان: المجالس والمسايرات،ص47.

[29]نفسه، ص47.

[30]المالكي: رياض النفوس، ج1، ص23.

[31] عمار بلحسن: الأدب والأيديولوجيا، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، د ط، 1984م،ص59 .

قائمة المصادر والمراجع:

1 – ابن خلدون: المقدمة، تحقيق:على عبد الواحد وافي، دار القلم، بيروت، ط 5، 1984م.

2- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1 ، ط.1985،2

3-أبو القاسم محمد كرو:عصر القيروان، دار طلاس للدراسات والنشر والترجمة،دمشق،ط3، .1989

4-أحمد أمين: ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان، ج3، ط10،د ت.

5- أحمد الزاوي: الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، دار البيارق،عمان- بيروت، ط1، .1999

6-الباقلاني :البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر، تح: الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية بيروت،.1958

7- شوقي ضيف : فصول في الشعر ونقده، دار المعرف، القاهرة، مصر، ط3 ،.1988

8-القاضي عياض : ترتيب المدارك وتقريب السالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، نشر مكتبة المشكاة، وزارة الأوقاف المغربية، المغرب، ج6،د ط، د ت.

9- القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، تح:محمد اليعلاوي إبراهيم شبوح،الحبيب الفقي المطبعةالرسمية التونسية، د ط،1978.

10- عبد الرحمن حجازي : الخطاب السياسي في الشعر الفاطمي (دراسة أسولبية) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، .2005

11- عمار بلحسن:الأدب والأيديولوجيا، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، د ط، 1984م .

12-عمر بن حمادي : كرامات الأولياء، النقاش الحاد الذي أثارته بالقيروان وقرطبة في أواخر القرن4 هـ،مجلة دراسات أندلسية، العدد4، 1990 .

13-المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي،دار الغرب الإسلامي، لبنان،ج1،ط2، .1994

14-محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 1990 .

15-محمد اليعلاوي: ابن هانئ المغربي الأندلسي -شاعر الدولة الفاطمية-،دار الغرب الإسلامي، بيروت، د ط،1985 م.

16-محمد اليعلاوي: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ،دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط1،1986.

17-نصر سلمان:من أعلام المذهب المالكي، دار ابن حزم، الجزائر،ط1، 2011 .